بشير شيحاني ودوره في الحركة الوطنية والثورة التحريرية 1945-1955

أ.د/ عبد الله مقلاتي/ قسم التاريخ / جامعة المسيلة

الملخص:

في هذا المقال نحاول التعرف على شخصية مغمورة، وذلك على الرغم من قيمتها كقامة ثورية،انه بشير شيحاني رفيق ابن بوالعيد وخليفته في قيادة منطقة الأوراس، وهي أهم منطقة للثورة خلال المرحلة الأولى، ونهدف من خلال تناول الموضوع إلى رفع اللبس عن هذه الشخصية، والتعريف بمآثرها، وانجازاتها الثورية، وخاصة في الجانب القيادي والتنظيمي والسياسي، وقد تبين لنا أن شيحاني كان قائدا مثاليا، من حيث حسن تنظيمه وإدارته، ومن حيث أفكاره وثقافته، ومن حيث حنكته السياسية وقدرته على الإقناع والتعريف بالثورة الجزائرية.

الكلمات المفتاحية: بشير شيحاني، الثورة الجزائرية، الحركة الوطنية.

Abstract:

In this article we are trying to identify the personalsubmerged, and in spite of man's value Kqamhrevolutionaryleft son Boualaid in the leadership of the Auresregion, whichis the most important area of the revolutionduring the first phase, the aim by taking the matter to the lifting of confusion about thispersonal, and the definition of Bmatherha, and revolutionaryachievements, especially in leadership, organisationnel and politicalside, has been shown to us that Chihani was commander of the ideal, in terms of good organization and management, and in terms of ideas and

culture, and in terms of political acumen and hisability to persuade and the definition of the Algerian revolution.

المقدمة:

الشهيد الرمز واحد من الوطنيين المخلصين والمثقفين الثوريين، تأثر بالنشاط الثوري للحركة الوطنية، وارتبط اسمه بالشهيد مصطفى ابن بوالعيد الذي عينه نائبا له وخليفته في قيادة ولاية الأوراس، وخلال مرحلة قيادته لأهم منطقة ثورية في بداية الثورة أعطى المثل الأعلى في الوطنية والإخلاص، واستطاع أن يتحمل مسؤولية تقوية وتنظيم الثورة وإسماع صوتها في الخارج، ومع ذلك انتهى به الأمر إلى الإعدام على يد مساعديه المقربين، وخيم النسيان على مسيرة نضال حافلة لمثقف الثورة وقائد منطقة الأوراس بعد مصطفى بن بوالعيد، حيث شهد المجاهد والباحث محمد الطاهر عزوي بأن الرجل "يكاد يصبح نسيا منسيا"[1]، وعلى الرغم من بعض الندوات التي عقدت بباتنة وقسنطينة فان قائد منطقة الأوراس المثقف لم يأخذ حقه من العناية والتكريم، وكنا نأمل أن تسمى باسمه جامعة في قسنطينة أو باتنة ولكن ذلك لم يتحقق، ونحاول اليوم على ضوء الشهادات والوثائق المفرج عنها نفض الغبار عن قامة ثورية منسية.

أولا– شيحاني مناضلا في الحركة الوطنية:

شيحاني المناضل والمثقف ولد يوم 22 افريل 1929 بالخروب قرب قسنطينة، نشا في بيئة ثورية، وأسرة محافظة، حيث كانت عاصمة الشرق الجزائري مركزا للحركة الوطنية الاستقلالية والإصلاحية، تكون جيدا باللغتين، حيث درس المرحلة الابتدائية بالخروب ثم واصل تعليمه بمتوسطة "جول فيري" بقسنطينة، وتعلم القران الكريم ومبادئ اللغة العربية في زاوية سيدي احميدة بالخروب، وفي محيط أسرة ابن باديس التي تكفلت بتدريسه في بيتها إلى غاية عام 1949، وهذا التكوين عمق أكثر توجهه العربي

الإسلامي إضافة إلى الأفكار التي اكتسبها من المدرسة الفرنسية، ويكون بذلك قد حاز تعليما مزدوجا أكسبه ثقافة واسعة بفضل مطالعته وتجربته[2].

وفي مدينة قسنطينة التي تعلم ونشأ بها غرف مبادئ الوطنية، حيث تأثر بنشاط الحركة الوطنية الإصلاحية والثورية، وخاصة حوادث الثامن ماي 1945 وما خلفته من انعكاسات، وقد قرر وهو طالب في الصف الثانوي بمدرسة جول فيري عام 1946 أن ينخرط في خلية للطلبة، ما لبث أن قادها بكل جدارة وتنظيم محكم، ينم عن قدرته واستعداده لدخول النشاط السياسي، انخرط في حركة الانتصار بقسنطينة منذ سنة 1947، وكلف بإنشاء عدة خلايا جديدة في قسنطينة ولخروب مسقط رأسه، انتقل في مشواره النضالي بين الخروب، ففي لخروب مهد لانتشار الحزب وتفعيل نشاطه عام 1948، وذلك بفضل جهده الشخصي ومساعدة معاونيه، ومنهم ساعده الأيمن بشير حجاج[3]، وأما منطقة التلاغمة القريبة من مدينة قسنطينة فعرفها وهو عضو في المنظمة الخاصة، حيث كلف بمهام سرية لوجستيكية لدعم نشاط المنظمة انطلاقا من القاعدة العسكرية الفرنسية الموجودة بالمنطقة[4].

وفي عام 1949 وبعد طرده من ثانوية قسنطينة بسبب نشاطه السياسي سافر إلى تونس لمواصلة تعليمه الثانوي والعالي ولكنه لم يوفق بسبب مرضه وظروفه المادية، وعاد من جديد لميدان العمل الوطني، وقد وجد ظروفا قد استجدت، إذ أصبح ممنوعا من دخول لخروب ومطاردا، اختف مدة في مدينة قسنطينة، ثم خطط لتزويج أخته من ابن خالها الرقيب في الجيش الفرنسي والذي يكبرها كثيرا في السن، وذلك بهدف تأمين نشاطه السري بمدينة التلاغمة، وهكذا تحول من مطارد الى لاجئ سري في ثكنة العدو بالتلاغمة، وشرع في مهمة استمالة المجندين الجزائريين للحركة الثورية، وقد بدأ بصهره أحمد حملاوي الذي استطاع بما يملكه من أدلة إقناع أن يكسبه، ويطلب منه إعادة تجديد

فترة التطوع ليخلوا له المجال لممارسة نشاطه الدقيق، وهو ما تم له فعلا في أكتوبر 1951، حيث سخر شيحاني جهده لتجنيد اكبر عدد ممكن من الجنود الجزائريين، والتعرف على إمكانيات وظروف العدو، والحصول على بعض قطع الأسلحة، وأنهى مهمته في التلاغمة بنجاح[5].

ونظرا لما كان يتمتع به من مستوى ثقافي ونشاط دءوب كلفه الحزب بالإشراف على عدة دوائر، منها بشار وأفلو، حيث خلف محمد مشاطي في قيادة دائرة الجنوب، وقد أثنى عليه قائلا:" كانت لنا علاقة طيبة ، بل حتى علاقة تقدير، كان مدرسا متمكنا من من العربية والفرنسية، وكان خطيبا مفوها، ومنظما متمكنا، ومع أنه لم يكن عضوا في المنظمة الخاصة ولم يشارك في اجتماعات الصيف إلا أنه كان على دراية جيدة بالأزمات الحاصلة داخل الأزمة"[6].

وأخيرا عُيّن شيحاني رئيسا لدائرة الحزب بالأوراس في خريف 1953، وكانت دائرة باتنة تعرف بعض المشاكل نتيجة اعتقال رئيس الدائرة السابق إبراهيم حشاني وانشغال ابن بوالعيد بقضية انفجار مخزون البارود بإحدى المحلات السرية بباتنة، كما أنها كانت تتميز بكونها مركز لكوادر المنظمة الخاصة اللاجئين إلى الأوراس، وقد عرف سي مسعود الاسم الثري لشيحاني بنشاطه الواسع وحسن تنظيمه، وكان يكتسب من يوم لآخر ثقة المناضلين، وقد أعجب ابن بوالعيد بثقافته وحسن تدبيره ووطنيته الصادقة، وقرر مفاتحته في موضوع إعلان الثورة بعيدا عن مصالي والمركزيين فوافقه الأمر، وكان بشير حالة استثنائية، ذلك أن أغلب قادة الثورة هم من جناح المنظمة الخاصة وليسوا مسؤولين في الحزب، وحده شيحاني جمع بين مسؤولية رئيس دائرة سياسية وعضو في قيادة اللجنة الثورية للوحدة والعمل وفي القيادة الثورية الجديدة، وذكرت بعض المصادر أن بوشبوبةمسؤول التنظيم في الحزب هو ما طلب منه وضع نفسه في خدمة ابن بوالعيد[7].

ثانيا– دور شيحاني في الثورة التحريرية:

نهض شيحاني بدور فاعل في الإعداد لتفجير الثورة وقيادتها خلال المرحلة الأولى، فقد اعتمده ابن بوالعيد مساعدا ومستشار له في مهمة تنظيم منطقة الأوراس وتهيئتها للثورة، حيث تؤكد شهادات المجاهدين الذين تعرفوا عليه أن شيحاني كان يتنقل باستمرار في ربوع الأوراس ولا يكاد يفارق ابن بوالعيد، وخاصة خلال الاجتماعات، وقد حباه الله بقدرة عجيبة على التحليل والإقناع، وبراعة كبيرة في مجال التنظيم والتخطيط، وفهم واسع لسياسة العدو ومناوراته[8].

وكان شيحاني النائب الأول لابن بوالعيد القائد التاريخي لمنطقة الأوراس، فعشية اندلاع الثورة التحريرية كان يشرف على دائرة الحزب بالأوراس، وينوب ابن بوالعيد في غيابه، وفي اجتماع الستة عين رسميا نائبا لابن بوالعيد في قيادة المنطقة الأولى الأوراس، ولا شك أن ذلك تم باقتراح من ابن بوالعيد الذي كان يثق به كثيرا وخاصة بعد أن زكاه له المناضلين إبراهيم حشاني ومراد بوقشورة[9]، وقد كان شيحاني منشغلا بتحضيرات الثورة، فقد ذكر عضو مجموعة الاثنين والعشرين محمد مشاطي أنه التقى خلال هذه المرحلة شيحاني وسلمه مخزون متفجرات كانوا في حاجة إليه في الأوراس[10]، وقد أسهم شيحانيفي تحضير المنشورات، ومنها بيان أول نوفمبر الذي رقن بالفرنسية وبالعربية في الأوراس، وكذا تحضير المجموعات والإعداد للاجتماعات، ومنها اجتماع دار برغوث علي بأشمول، واجتماع دشرة أولاد موسى ليلة الفاتح نوفمبر 1954، والذي تقرر فيه انطلاق الثورة في مناطق الأوراس وتوجيه التعليمات اللازمة[11].

وقام شيهاني بدور بارز في قيادة منطقة الأوراس، حيث كان يرافق ابن بوالعيد في تنقلاته واجتماعاته، ويقدم له النصيحة والمشورة، ويقف إلى جانبه دائما في اتخاذ القرارات، كان مسرورا بحوادث اندلاع الثورة، وحريص على تقييم موضوعي لها لاستقاء

الدروس، وفي مركز القيادة بالحارة قرب أريس ترقب وابن بو العيد أخبار الثورة وتطوراتها، واستدعوا قادة الأفواج لتوجيه التعليمات اللازمة والخاصة بكل جهة، وفي إحدى المرات كان شيحاني مصيبا عندما نصح ابن بوالعيد بعدم إعطاء محمد الشريف عباسي منصب مسؤولية، حيث فشل في تنفيذ الهجوم على بريكة فقام ابن بوالعيد بعزله، ومع ذلك أعاده عجول للقيادة دون علمه، مما ينم على بذور حساسيات وصراع جهوي منغرس في الأوراس[12].

وفي الثالث عشر نوفمبر عقد الاجتماع الثاني لقيادة الأوراس في اينوغيسن، وأبدى شيحاني أمام قادة مجموعات شمال الأوراس تفاؤله "لقد انطلقت الثورة بصورة جيدة، ولن تدوم الحرب أكثر من بضعة أشهر"، كان تفاؤلا مفرطا الغرض منه رفع معنويات المجاهدين وهم في بداية الطريق[13]، كان شيحاني يشارك بفعالية في اتخاذ القرارات، احترام قائده له وديمقراطيته، وإضافة إلى حنكته الشخصية ومعرفته بالسياسة وتنظيم الأوراس، وهو ما جعل مداسي يعلق قائلا:" في مقر القيادة بالحارة يسود الانطباع أحيانا بأن السلطة ثنائية الرأس، بين مصطفى وشيحاني، لتألق هذا الأخير بفاعليته وذكائه حتى أن مصطفى يبدو مشجعا له على ممارسة الزعامة"[14]، وقد أبدع شيحاني في تقييم الوضع السياسي للثورة، خاصة بعد قيام العدو بترحيل سكان المشاتي في أريس وشن الدعاية ضد "الفلاقة"، واقترح البدء في دعاية مضادة وكسب السكان، والاعتماد على المنشورات في تبليغ رسالة الثورة، وهو ما تم تبنيه سريعا وتكفل شيحاني السياسي المثقف بإيضاحه لهيئة قيادة المنطقة وإطاراتها[15].

وفي نهاية ديسمبر 1954 تفقدت قيادة الأوراس جبل أحمر خدو وعادت إلى مركز الحارة، كان الشتاء قارصا والتضاريس صعبة، وقد مرض شيحاني لعدم تحمله نمط الغذاء القاسي وهو ابن الحضر، يذكر مرافقه الجودي بيشة أن القيادة نجت بأعجوبة من

دورية فرنسية كانت تمشط المكان، وأنه حمل شيحاني المريض على كتفه صاعدا به الجبل المؤدي إلى مركز الحارة[16]. وخلال منتصف جانفي 1955 كانت قيادة الأوراس مع امتحان عسير، فقد فاقمت القوات الفرنسية حصارها للأوراس، ووزعت المناشير التي تمنع السكان من التحرك في مجالات محددة، وأنزلت نحو ستة ألاف جندي لتمشيط جنوب أريس، وبعد أيام بدأ نحو أربعة ألاف جندي حملة تمشيط لشمال بسكرة، وقد استخلصت القيادة الدرس لما اجتمعت بقادة الأفواج، إن هدف فرنسا استعراضي، وهي تنوي محاصرة المجاهدين، علينا مواصلة حرب العصابات، ويتوجب التفكير الجدي في توفير الدعم للثورة، وخاصة السلاح[17].

وكان ابن بوالعيد يفكر في إرسال شيحاني للشرق للاتصال بابن بلة وبحث قضية السلاح، ولكنه عدل عن ذلك وقرر أن يسافر بنفسه، جمع ابن بوالعيد نوابه وعرض عليهم وضعية الثورة الصعبة، وخاصة ما تعلق بنقص السلاح، وأعلمهم بقرار سفره إلى الشرق للبحث عن الأسلحة، وقد أبدى شيحاني اعتراضا على ذلك، بعدها انعزل مصطفى بعجول ولغرور وأبلغهما بتكليف شيحاني بالقيادة بالوكالة في غيابه وأوصاهما بطاعته ومساعدته، موضحا " فهو شاب وشجاع"[18]، ويكون ابن بوالعيد قد قرر رأيه في مسألة مهمة، وأراد أن يقدم درسا في نبذ الجهوية وتقديم السياسيين على العسكريين، اختار شيحاني الذي لا ينتمي للأوراس ولا زمرة له تعضده للقيادة، مقدما على ذلك شجاعة الرجل وحنكته وحيويته، ولعله لم يختر عجول بسبب خلافه الجهوي مع مسعود بن عيسى الذي كان معروفا، وقد زعم عجول – وهو أكبر مساعدي ابن بوالعيد سنا وأوفرهم حضا – أن بن بوالعيد عندما أوصاه ولغرور خيرا بشيحاني فإنه أومأ لهما بأداء مهمة الوصاية على شيحاني، خاصة وأنه شاب وليست له خبرة عسكرية[19].

وقد أعلم ابن بوالعيد الجميع بتعين شيحاني نائبا عنه في قيادة منطقة الأوراس، وحدد المسؤوليات في إدارة المنطقة، عجول ولغرور نائبين لشيحاني، ومصطفى بوستة مكلف بالمالية ومدور عزوي مكلف بالتموين ومسعود بلعقون مساعد ثالث، وقد عز على شيحاني مفارقة ابن بوالعيد وهو "روح الثورة"، وطلب منه الاعتناء بنفسه، وفي يوم 23 جانفي 1955 مضى ركب ابن بوالعيد إلى النمامشة بعد أن ودعه شيحاني، وبعد يومين وصل إلى القلعة وخط ابن بوالعيد رسالة لشيحاني وصلته بعد يومين، وفيها تعليمات جديدة لشيحاني، منها معالجة الخلاف الذي وقف عليه بين قادة النمامشة، وتنظيم منطقة الحدود للاستفادة من معابرها الإستراتيجية[20].

كانت المسؤولية في نظر شيحاني جسيمة، وتتطلب مضاعفة الجهد في إدارة شؤون الثورة، فبذل شيحاني قصارى جهده لإنجاح مهمته، وقد عقد اجتماعا وقرر نقل مقر القيادة إلى القلعة بالنمامشة للوقوف على المشكلات التي ذكرها ابن بوالعيد، وهناك بلغه خبر إلقاء القبض على بن بوالعيد وهو يعقد اجتماعا عاما، فخطب أمام رفاقه بكل شجاعة، وأبلغهم أن الثورة لا تقاد بالأشخاص وأن النشاط الثوري سيتواصل أكثر من ذي قبل، ويتوجب علينا العمل أكثر[21].

وقد تفتقت عبقرية شيحاني القائد الثوري في المجال السياسي والتنظيمي، حيث عرف بحيويته ونشاطه الدؤوب، وقدرته الفائقة على التنظيم، وحماسته الخطابية التي ألبت الجميع حماسة ووطنية. ومن بين مبادراته الهامة إنشاء أمانة دائمة تتنقل مع القيادة، وإصدار جريدة "الجزائر الحرة" التي كانت لسان حال منطقة الأوراس، وتوجيهه المنشورات للجيش الفرنسي من أجل تشجيع اللفيف الأجنبي على الفرار، وإقامة قاعدة تونس وتنظيم منطقة سوق أهراس[22].

كما أعاد شيحاني تنظيم منطقة الأوراس إلى ثلاث نواحي، الأولى اريس وباتنة، والثانية كيمل وتامزة والصحراء، والثالثة خنشلة وتبسة، واهتم بنشر الثورة في أقصى المناطق والنوحي، وركز على الجمع بين العمل السياسي والعسكري، وتبنى أسلوب حرب العصابات لإضعاف العدو وإرهاقه، كان القائد على عكس مساعديه أميل إلى ترجيح العمل السياسي في حين كان عجول ولغرور عسكريين مغامرين[23]. وقد اهتم شيحاني خلال تواجده بالنمامشة كثيرا بمسألة الحصول على الأسلحة والذخيرة من تونس وليبيا، وركز على تنظيم مراكز الثورة بالحدود، وعمل على نشر الثورة في الجنوب جهة وادي سوف حيث أرسل حمى لخضر لتعميم الثورة، وربط الاتصال بالشمال القسنطيني من خلال إرسال قافلة سلاح وعقد اتفاقية تنسيق، كما أرسل فوجا إلى الولاية الثالثة ولكن تم القضاء عليه بالكامل، ولا شك أن خطوة الاتصال هذه والتنسيق تعبر عن بعد نظر القائد شيحاني[24].

ومن أعمل شيحاني الأولى في النمامشة تفتيشه لكامل المنطقة، واستدعائه جميع قادة تبسة وخنشلة، ومحاسبة البعض منهم وتطبيق العقوبات، وقد عرفت المنطقتين بعض التسيب، كما كلف الحسين بن عبد الباقي بالاتصال بأحمد بن عبدالرزاق في الصحراء ونشر الثورة هناك، وأعد وقرأ شيحاني قانون الثورة خلال اجتماعه العام بمختلف القيادات، منع التدخين، وشدد على أن الموت سيكون من نصيب كل من يقتل، أو ينحرف، يخون، أو يبدد مال الثورة، نزلت هذه الكلمات شديدة الوطأة على قادة النمامشة، وبدوه لم يكن شيحاني محابيا ولا باحثا عن عصبية، وهو ما أكده نائبه عجول بالقول:" شيحاني رجل لا صديق له ولا عدو،، إنه لا يشعر لا بالحب ولا بالكره، فالفعالية في خدمة الثورة هي كل ما يهمه".

وإن كان شيحاني متشددا مع القادة النمامشة فإنه أظهر وجها آخر للمدنيين، حيث جمع ممثلي المدنيين يوما وخاطبهم بلطف طالبا منهم دعم الثورة بالمال والمؤونة والمعلومات، " ساعدونا فأنتم غطاء الثورة وستارها، فنحن إخوتكم، وأمنا واحدة، أنشئوا وضاعفوا خلايا دعم جيش التحرير الوطني الذي هو جيشكم"، وهذه الكلمات تشبه كثيرا كلمات عبان في بيانه الموزع في مدينة الجزائر خلال جوان 1955، وتنم عن فهم عميق لفلسفة وأبعاد الثورة السياسية، وسريعا تجسد مفعولها ميدانيا باحتضان الشعب للثورة في النمامشة وسخائه في دعمها بالمال والذخيرة، وتشكل المجالس الشعبية لتصبح إدارة موازية للإدارة الاستعمارية[25].

وهذه المواقف المميزة لشخصية شيحاني جعلته محل إيثار وإعجاب كثير من الجنود والمسؤولين، وفي هذا الإطار يمكن تسجيل شهادة أحدهم، عبد الرزاق بوحارة الطالب المجند لتوه بخنشلة يتذكر بإعجاب مطنب ملامح شخصية القائد الملتزم بالقول: "رجلا ذكيا، وخطيبا مقنعا، ومنظما محنكا، صحيح أنه لم يكن يتمتع بهالة سي مصطفى بن بوالعيد ، لكن كانت له الجرأة التي تمنحها صفة المسؤول في زمن الحرب ، وتعطي بعض نسخ محاضر الاجتماعات ووثائق أخرى أعدت بطريقة بدائية أو نسخت بسرعة، فكرة عن العمل التنظيمي لشيحاني بشير..."[26].

كانت فترة قيادة شيحاني القصيرة للأوراس حافلة بالانجازات، ومع ذلك كانت مليئة بالصعوبات، بعضها محلي والآخر من صنيعة المستعمر، بعد اعتقال ابن بوالعيد أطلت النعرات الجهوية والعشائرية من جديد في الأوراس، كما ركزت المخططات الفرنسية على الحرب النفسية والدعاية المغرضة، حاول شيحاني التكيف مع الواقع الجديد بحكمة السياسي والمثقف وخاصة من خلال كسب ود عمر بن بوالعيد، ولكن جماعة عجول ولغرور تدخلت باستعمال القوة لإعادة تشكيل التوازنات، وكان ذلك على حساب

شيحاني ذاته الذي ذهب ضحية صراع القيادات في الأوراس[27]، وقد عبر بوحارة عن حساسية الظرف والموقف بقوله: "هذا المناضل الذي نحت من صرامة الانضباط الحزبي، هذا الرجل الذي يملك ملامح المثقف سيواجه صعوبات لتحمل مسؤولياته، في بيئة تقتضي مقاربات تكتيكية وتقتضي روح التنازل والمرونة وتتطلب محطات وحلول بديلة ذات فعالية"[28].

وفي أواخر مارس 1955 عاد شيحاني إلى كيمل بالأوراس، واستدعى القادة للاجتماع، بدا له الوضع متفاقم، ذلك أن قادة الأوراس الملتفين حول عمر بن بوالعيد ومنهم مسعود بن عيسى طرحوا عدة مشكلات، لماذا نقلت القيادة إلى النمامشة ولم تعد للأوراس؟، ولماذا لا يشرك شيحاني قادة الأوراس في اتخاذ القرارات التي ينفرد بها لغرور وعجول؟، ويبدو أن دعاية ابن عيسى الجهوية وخلافه مع عجول استفحل، وخلال الاجتماع طرح جماعة عمر بن بوالعيد تولية هذا الأخير منصب قيادي إكراما لأخيه الذي يمثل روح الثورة، فكر شيحاني مليا ولم يعارض الأمر، ولكن عجول ولغرور العارفين بالنوايا المبيتة عارضا، ووجد شيحاني نفسه في مأزق، وتدخل أخيرا ليعلن أن تعيين عمر بن بوالعيد في منصف قائد لمنطقة الأوراس هو شرفي فقط، ومع ذلك أحدث هذا التعيين الانقسام الذي تعمق في الاوراس بين جماعة عمر ابن بوالعيد وجماعة عجول ولغرور[29].

وخلال الاجتماع عرض شيحاني النجاحات المحققة، أعاد تنظيم منطقة النمامشة، ووسع العمل المسلح في اتجاه سطيف، وأعاد تأطير منطقة بريكة، ووسع من شبكة الاتصالات والتموين التي تمتد من تونس إلى النمامشة فالأوراس، وشدد على تنظيم نظام القضاء المستمد من الشريعة الإسلامية، ومن أجل فك الخناق على منطقة الأوراس وجه التعليمات الآتية: "ستنطلق مجموعة أولى من جبال سريانة باتجاه سطيف، وتنطلق مجموعة ثانية من جبل بوعريف نحو عين مليلة والخروب، ما أمكن ذلك، لفك الطوق

المضروب على الأوراس، وأخيرا تنطلق مجموعة ثالثة من جبال متليلي نحو بريكة ومقرة وجبل بوطالب لإجراء اتصال ببلاد القبائل، إن الربط بنواحي الوطن الأخرى حيوي، وإلا فسنختنق خلال وقت قصير"[30].

وختم شيحاني الاجتماع بتوجيه خطاب حماسي أسر به لب مستمعيه، وقد بدأه بقوله: "إن أبناء الشعب يلاحظوننا، فعلينا أن نضرب المثل بتضحياتنا"، ومما قاله أيضا بحكمته المعهودة :" إن الكفاح المسلح هو ردنا على الاستعمار، إنها اللغة الوحيدة التي يفهمها، وإذا سألكم أحد : لماذا جبهة القتال؟، لماذا كل هذه المعاناة؟، فما يكون جوابكم؟، حبا في الوطن، من أجل استقلال الوطن، لوقف الاضطهاد الاستعماري، وستكونون محقين، وإذا سألكم الشخص نفسه مرة أخرى : أية فائدة تظن أنك ستجنيها لنفسك؟ فما يكون ردكم؟، لا فائدة فأنا لا أتوقع شيئا لنفسي، ولكن كل شيء لوطني، وستكونون محقين مرة أخرى"، وبهذه الكلمات استطاع شيحاني أن يلقن المسؤلين والمجاهدين ضيقي الأفق معاني الوطنية الحقة، وترك الشعور الطيب لديهم بأنه أستاذهم المثقف وقائدهم والمحنك، وقد علق أحدهم وهو علي بن شائبة واصفا شيحاني أنه لم يكن ذئبا ماكرا بقدر ما كان أسدا شجاعا، ولعله أراد أن يقول أنه لم يكن يناور ويبني مستقبله الشخصي –كما كان يفعل غيره – بقدر ما كان شجاعا يفكر في مصلحة الوطن[31].

لقد اجتهد شيحاني بحكمته في مواجهة كثير من المشكلات، ومنها الانقسامات التي قادها عمر بن بوالعيد الذي طالب بسلطة القيادة الكاملة، ومسعود بن عيسى المتنازع مع عجول لأسباب جهوية[32]، وطبيعة العلاقة مع اليوسفيين المعارضين لبورقيبة والمؤيدين للثورة الجزائرية[33]، ومع ابن بلة الذي يثق كثيرا في منطقة الأوراس وعول عليها في معارضته لسلطة الداخل[34]. واهتم شيحاني بالاعتماد على الواجهة الحدودية في

الاتصال بالعالم الخارجي، حيث نظم قاعدة تونس برئاسة عبدالحي السعيد السوفي، وجبهة الحدود التونسية بقيادة سي الجيلالي والطالب العربي، وانتبه إلى مسألة التنسيق مع مناطق الوطن الأخرى ودفعها لفك الخناق على الأوراس، وهو ما جسده في مباحثاته مع مبعوثي زيغود يوسف بالقلعة، ورسالته لهذا الأخير التي تحثه على فعل شيء من أجل فك الخناق عن الثورة في الأوراس، والتي دفعت بتنظيم هجمات العشرين أوت 1955 بالشمال القسنطيني[35].

ثالثا– معركة الجرف واغتيال شيحاني:

منذ أن عاد شيحاني إلى القلعة بالنمامشة في أفريل 1955 ازدادت مشاغله واهتماماته، ففي ظل تململ أزمة القيادة انشغل شيحاني بتنظيم المنطقة الحدودية التي كانت تابعة للأوراس، وتفعيل شبكات نقل السلاح القادم عبر ليبيا وتونس، وإرساء مراكز الاتصال والتموين الممتدة على طول المنطقة، ومد الثورة الى أقصى حدود المنطقة، وتحرير "ميثاق المجاهد"، وهو بمثابة دستور يحدد حقوق وواجبات المجاهد، سواء كان مسلحا أو مدنيا، أو مكلفا بالاتصالات، كما تم رسم الحدود الجغرافية للنواحي الست، وتعيين مخازن التموين بدقة، ومن أجل ضمان تنفيذ القرارات كلف شيحاني عمر بن بوالعيد ولغرور بتفتيش مناطق غرب الأوراس، وعجول وتفتيش مناطق شرق الأوراس، كما أعطى أوامره بتحريم التبغ معلنا أن "كل سيجارة هي مساعدة لمجهود العدو العسكري"[36].

وقد كان شيحاني مهتما بعقد الاجتماعات للمسؤولين العسكريين والمدنيين، بهدف توجيه التعليمات وإرشادهم، إضافة إلى اجتماع قيادة المنطقة الذي كان دوريا ويستمر لأيام أحيانا، ففي جوان 1955 ترأس شيحاني اجتماعا بالقلعة، واستمع فيه

إلى تقارير عدة قدمت عن وضع الثورة، وخاصة بعد رحلتي التفتيش المذكورتين سابقا، وعالج كثيرا من المشكلات التنظيمية والعسكرية[37].

وفي جويلية 1955 جمع شيحاني قادة المناطق والقطاعات، وذلك اثر اكتشافه مؤامرة انقلابية ضده دبرها مسعود بن عيسى لصالح عمر بن بوالعيد[38]، وخطب فيهم محذرا من الانشقاق وعودة النزاعات الجهوية، وقال: "إن الوضع خطير بسبب خطأ من أناس أنانيين ومتعصبين، وفي غياب سي مصطفى ابن بوالعيد فان من واجبي السهر على تنفيذ توصياته"، وكان من بين قراراته عزل عمر بن بوالعيد من القيادة[39]، وقد كان تعيين عمر بن بوالعيد وعزله خطأ زاد من انقسام منطقة الأوراس، ولكن القرارين لم يكن شيحاني المسؤول الأول عنهما، لقد اتخذا بشكل جماعي وبمشاركة أركان القيادة.

وخلال سبتمبر 1955 كان شيحاني يحس أنه استعاد زمام المبادرة، فقرر تنظيم أبواب مفتوحة على الثورة بالنمامشة، وهو معتاد على تنظيم التجمعات الشعبية التي يخطب فيها، ويكسب منها تعاطف الشعب مع ثورته وحل مشكلات العروش وتنظيم وتقوية صف الثورة، عقد التجمع يوم 18 سبتمبر، و"كان التجمع مذهلا، وكان يعبر عن مدى تطور القدرات القتالية لجيش التحرير الوطني في الناحية وكان يعطي فكرة عن التطور الذي تم تحقيقه في مجال العمل السياسي في أوساط السكان"[40]. وعلى الرغم من طابع السرية والتنظيم المحكم يبدو أن الإدارة الفرنسية أخذت علما بالتجمع واستعدت لمحاصرة الثوار، قامت القوات الفرنسية بتطويق جبل الجرف من جهاته الأربع، وتوجب على جيش التحرير الوطني خوض مناوشات ومعارك لفك الخناق دامت لأسبوع بدء من يوم 23 سبتمبر 1955، وتمكن المجاهدون بفضل حنكتهم من فك الحصار المفروض وإلحاق خسائر كبرى بالجيش الفرنسي[41].

وبعد نهاية المعركة ومغادرة القوات الفرنسية المكان يوم الرابع أكتوبر 1955 خرج شيحاني من مخبأه الحصين بمغارة داخل الجبل وأخذ طريقه نحو القلعة، وأما مساعدي شيحاني الرئيسيين عجول ولغرور الذين بليا بلاء حسنا في المعركة فكان في انتظاره، وقد قررا اغتيال شيحاني وهو في أوج مجده، متهمين إياه بارتكاب أخطاء فادحة، منافية للأخلاق وقداسة مبادئ الثورة[42].

كانا قد دبرا أمرهما واتخذا قرارهما بناء على أخبار وصلتهم عن سلوك شيحاني في المغارة، ومن دون إعلامه بالأمر رحبوا به لعقد الاجتماع، كان شيحاني فخورا بما تم انجازه ودعاهم لاجتماع تقييمي، أراد من خلاله أن يمارس كامل سلطاته وذلك على الرغم من أن النصر العسكري حققه مساعدوه، وفي اجتماع موالي عقد يوم 20 أكتوبر 1955 وحضره أعضاء القيادة وقادة النواحي والكتاب استهل شيحاني الاجتماع بقوله: "إنني فكرت كثيرا وإنني شديد التخوف على مستقبل الثورة، لقد انطلقت هذه الأخيرة انطلاقة سيئة وإن مصطفى بن بوالعيد قد عهد إلي بأمر القيادة إلى أن يعود من رحلته إلى الشرق العربي؛ ولذلك فإنني أطلب منكم أن تجددوا العهد لي فتمنحوني ثقتكم مرة أخرى".

ولم يكن شيحاني يعرف أن أيامه معدودة، فقد قرر مساعدوه مصيره، وأما هو فواصل اجتماعه بكل ثقة، قرر نقل عجول من كيمل لقيادة ناحية تبسة، وخاطب شريط ليدون في السجل إنك منقول إلى منطقة كيمل، فوافق على مضض، والتفت إلى عباس ليبلغه أنه نقل إلى منطقة تبسة ومهمته مراقبة الحدود، بعد نهاية الاجتماع طلب عجول الرجل النافذ عسكريا من شيحاني وديا مرافقته إلى حمام شابورة، وبادر إلى تفكيك حراسته، وفي الملجأ الذي نزلوا به أخبر عجول الجودي بيشة حارس شيحاني المخلص أن شيحاني حاول من قبل أن يستسلم للعدو، وسيحاكم على هذا وعلى كثير غيره من سلوكه غير القويم وتصرفاته الشخصية التي تتنافى وقداسة الجهاد، أعرب بيشة الشاهد

الرئيسي في القضية أن شيحاني الذي عرفه برئ من هذه الحماقات، وأن غرور عجول وطموحه للزعامة هو الذي دفعه لتلفيق تلك التهم[43].

من جهته يذكر عجول في شهادته أنه هو من ألح على لغرور ضرورة محاكمة شيحاني على سلوكه الغير القويم واستمع لغرور لنصيحة عجول، وقد ذهب لاستفتاء الشيخ علي فأفتى له بالإعدام إذا كانت التهمة ثابتة، وحوكم شيحاني في جلسة عامة وبشهادة الشهود وصدر في حقه حكم الإعدام[44]، ومن جهته اعترف لغرور بأنه حاكم شيحاني وأعدمه بسبب سلوكه الذي لا يداويه إلا الموت[45]، ولم تكن هذه المحاكمة سليمة الأركان، بل كانت شعبوية وغير بريئة، فقد دبر عجول وعباس كل شيء وأوهموا الجنود أن شيحاني متهم بقضية أخلاقية، وهكذا يتحمل عجول ولغرور مسؤولية اغتيال شيحاني، ولعل لغرور غرر به من طرف عجول، فقد كان إنسانا رقيقا شديد التدين، وكانت خيوط المؤامرة التي دبرها عجول محكمة انطوت عليه، ويصعب على المؤرخ اليوم أن يعرف كل الملابسات، خاصة في ظل غياب الشهود[46].

ومهما قيل عن المحاكمة فإنها كانت صورية، أخرج شيحاني من ملجأه مقيدا، وأمر المحاكمون الذين استمعوا إلى شهادات ملتبسة بإعدام الرجل، وبادر عجول إلى تنفيذ الحكم سريعا، كان ذلك صبيحة يوم 23 أكتوبر 1955، وكان هذا الخطأ الجسيم بداية لانقسام القيادة في الأوراس وتحكم الجهوية والنزاعات فيها، ولاحقت هذه الجريمة عجول ولغرور بنقمتها، فالأول انتهى به الأمر ليستسلم للفرنسيين والثاني تمت محاكمته من قبل قيادة الثورة واعدم، وعندما فر مصطفى ابن بوالعيد من الكدية وعاد للاوراس تفاجأ لما سمع بمقتل نائبه شيحاني ولام عجول وعباس كثيرا[47].

وأما عن الأسباب العميقة لاغتيال شيحاني فتتمثل أساسا في رغبة عجول إزاحته بقصد تزعم منطقة الأوراس، خاصة وأنه تشجع لذلك بفعل عدة عوامل منها:

استخلاف ابن بوالعيد لشيحاني على مضض، حيث أسر لعجول ولغرور بأن القيادة الفعلية تكون بين أيديهما، وذلك راجع لصغر سن شيحاني وريبته منه حسب شهادة عجول. وكذا اعتقال ابن بوالعيد في تونس، وهو ما مهد لعجول رسم سياسة الوصول للزعامة ولو على حساب اغتيال شيحاني وابن بوالعيد ذاته، فقد روى علي الألماني أن عجول هو من وضع القنبلة في المذياع الذي أودى بحياة ابن بوالعيد. إضافة إلى تدخل عدة أطراف منافسة لعجول للضغط على شيحاني من أجل منحها مواقع متقدمة في قيادة الأوراس وخاصة عمر ابن العيد الذي انتزع لقب رئيس للجمهورية، وهو ما أدى بعجول للدخول في خلافات حادة مع شيحاني أشار إليها عبد الوهاب عثماني في شهادته، وهكذا ساعدت هذه العوامل عجول على إظهار طموحه الدفين في تولي السلطة الفعلية، والتي كان يمارسها من قبل وراء اسم شيحاني[48].

الخاتمة:

من خلال ما سبق تعرفنا على جوانب مهمة من شخصية بشير شيهاني، ذلك المثقف والسياسي المحنك الذي يحبذ تلقيبه "روبيس بيار" الثورة الجزائرية، وقد تبين لنا أنه يمثل أنموذجا للوطني المخلص، ترك وراءه صورة رجل مثالي، سياسي مثقف ومتدين، رجل بعيد النظر ومخطط بارع، إنسان متواضع ولطيف المعشر، ترك بصمته الواضحة في سجل الثورة التحريرية، ويكفيه شرفا أنه كان مناضلا متمرسا في حركة الانتصار، ومعدا للثورة، وقائدا لها في منطقة الأوراس، وخليفة للبطل مصطفى ابن بوالعيد، وملهما للمجاهدين بثقافته وحسن تنظيمه وإدارته للثورة.

الهوامش:

1- مجموعة باحثين، **شهداء منطقة الأوراس**، ج. 1، منشورات جمعية رواد مسيرة الثورة في منطقة الأوراس، باتنة، دار الهدى، الجزائر، 2002، ص. 367.

2- مجلة أول نوفمبر ، ع. 81، عام 1986، ص ص. 26-27.

3- أشرف على إعداد وتفجير الثورة بالخروب، واعتقل بعد أيام من اندلاع الثورة، وتعرض للاستنطاق وسجن مع ابن بوالعيد، وحكم عليه بالإعدام، الذي نفذ يم 3 جانفي 1957. مجلة أول نوفمبر، المرجع نفسه.

4- شهادة عدد من رفاقه في النضال، مجلة أول نوفمبر، ع. 81، عام 1986، ص ص. 27-28.

5- مجلة أول نوفمبر، ع. 81 ، عام 1986، ص ص. 28-32.

6- محمد مشاطي، **مسار مناضل**، تر. زينب قبي، الشهاب، الجزائر، 2010، ص. 72.

7- مجموعة باحثين، **شهداء منطقة الأوراس**، مرجع سابق، ص ص. 370-371.

8- مجلة أول نوفمبر، ع. 81، عام 1986، ص. 32.

9- شهادة إبراهيم حشاني، مجلة أول نوفمبر، المصدر نفسه، ص. 35.

10- محمد مشاطي، المصدر نفسه، ص. 72.

11- مجموعة باحثين، **شهداء منطقة الأوراس**، مرجع سابق، ص ص. 372-373.

12- شهادة عدد من المجاهدين ومنهم عجول، محمد العربي مداسي، **مغربلو الرمال الأوراس النمامشة** 1954-1959، تر. صلاح الدين الأخضري، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2011، ص. 38.

13- محمد العربي مداسي، المرجع نفسه، ص. 39.

14- المرجع نفسه، ص. 54.

15- مجموعة باحثين، **شهداء منطقة الأوراس**، مرجع سابق، ص. 373.

16- محمد العربي مداسي، المرجع نفسه، ص ص. 56-57.

17- المرجع نفسه، ص ص. 58-59.

18- محمد العربي مداسي، المرجع نفسه، ص. 61؛ وشهادة عجول، **مصطفى ابن بوالعيد والثورة الجزائرية**، منشورات جمعية أول نوفمبر لتخليد وحماية مآثر الثورة في الأوراس، دار الهدى، الجزائر، 1999، ص. 369.

19- شهادة عجول، المرجع نفسه، ص.371؛ محمد العربي مداسي، المرجع نفسه، ص. 61.

20- محمد العربي مداسي، المرجع نفسه، ص ص. 63-68.

21- مجموعة باحثين، **شهداء منطقة الأوراس**، مرجع سابق، ص. 375.

22- شهادة عجول، المرجع السابق، ص. 379.

23- مجموعة باحثين، **شهداء منطقة الأوراس**، مرجع سابق، ص ص. 376-377.

24- مجلة أول نوفمبر، المرجع نفسه، ص. 36؛ مجموعة باحثين، **معركة الجرف**، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2008، ص ص. 62-63.

25- محمد العربي مداسي، المرجع نفسه، ص ص. 71-70.

26- عبد الرزاق بوحارة، **منابع التحرير**، تر. صالح عبد النوري، دار القصبة، الجزائر، 2006، ص. 102.

27- للتفصيل ينظر: محمد زروال، **إشكالية القيادة في الثورة الجزائرية -الولاية الأولى نموذجا-**، منشورات وزارة المجاهدين، المطبعة الرسمية، الجزائر، 2007، ص. 145 وما بعدها.

28- عبد الرزاق بوحارة، المصدر نفسه، ص. 103.

29- محمد العربي مداسي، المرجع نفسه، ص. 73 وما بعدها.

30- محمد العربي مداسي، المرجع نفسه، ص ص. 73-75.

31- المرجع نفسه، ص ص. 73-77.

32- يراجع: محمد زروال، المرجع السابق، ص ص. 188-191.

33- استقبل شيحاني اليوسفيين في القلعة، وزودهم بالسلاح لفتح جبهة ضد بورقيبة، وكان مقتنعا بوحدة الكفاح المغاربي. شهادة عجول، المرجع السابق، ص. 385.

34- ربط ابن بلة من ليبيا وتونس علاقة وثيقة مع شيحاني؛ من أجل تزويد الثورة بالسلاح وإنجاح مشروع جيش تحرير المغرب العربي. ينظر: عبد الرزاق بوحارة، المصدر نفسه، ص. 104.

35- وكانت أهم تلك الاتصالات قبل أوت 1955، أرسل له زيغود مبعوثين من قسنطينة، رجع بعضهم برسائل شيحاني الداعية إلى تخفيف الضغط عن الأوراس المحاصر، وتم في اجتماع القلعة يوم 14 أوت 1955 عقد اتفاق بين المنطقتين الأولى والثانية فصل في الخلاف القائم بينهما على ناحية

سوق أهراس، تنازل زيغود عن سوق أهراس للأوراس مقابل تقديمها شحنات من الأسلحة للشمال القسنطيني، وهو ما تم فعلا، ولم يعجب أمر تقديم الأسلحة عجول ولا لغرور. ينظر، شهادة عجول، المرجع السابق، ص ص. 380-381؛

Jacques duchmun, **l histoire du f l n** , ed table ronde, paris, 1962, p. 100.

36- محمد العربي مداسي، المرجع نفسه، ص ص. 94-95.

37- المرجع نفسه، ص ص. 107-113.

38- عن هذه المؤامرة. يراجع: محمد زروال، المرجع السابق، ص ص. 181-188.

39- محمد العربي مداسي، المرجع نفسه، ص ص. 120-126.

40- عبد الرزاق بوحارة، المصدر السابق، ص. 104.

41- الطاهر الزبيري، **مذكرات آخر قادة الأوراس التاريخيين**، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2008، ص ص. 126-128.

42- شهادة عجول، المرجع السابق، ص 390-393؛ محمد العربي مداسي، المرجع نفسه، ص ص. 150-154.

43- شهادة بيشة، كما رواها محمد العربي مداسي، المرجع نفسه، ص. 135.

44- شهادة عجول، المرجع السابق، ص ص. 391-393.

45- اعتراف قدمه لمحمود قنز قبل إعدامه في تونس. محمد زروال، **النمامشة في الثورة**، دار هومة، الجزائر، 2003، ص. 355.

46- عبد الرزاق بوحارة، المصدر السابق، ص. 100.

47- الطاهر الزبيري، المصدر السابق، ص. 128.

48- شهادة عبد الوهاب عثماني، **مصطفى ابن بوالعيد والثورة الجزائرية**، مرجع سابق، ص. 499.